هوامش

لا تمر مناسبة رأس السنة الأمازيغية مرور الكرام في الجزائر. ويتعامل المواطنون بتقدير كبير مع هذه المناسبة، فيحتفلون ويعدون الأكلات المختلفة ويدعون بعام مليء بالخير

يحتفلن برأس السنة الأمازيغية (بلال بنسالم/ Getty)

توماس توقاس

احتفالات برأس السنة الأمازيغية في الجزائر

الجزائر ـ **فتيحة زماموش**

يحتفل أمازيغ الجزائر، بل الجزائريّون عموماً، برأس السنة الأمازيغية في 12 يناير/ كانون الثاني من كلّ عام، وهو ما يوازي عام 2972 بالتقويم الأمازيغي. وهذا تقويم فلاحي كانت تحتفل به المجموعات الأمازيغية في الجزائر كما في دول شمال أفريقيا كالمغرب وتونس وليبيا وفي منطقة سيوة في الصحراء الغربية بمصر. ثمّ أخذ طابعاً اجتماعياً عاماً في الجزائر، ويحتفل به الجزائريون منذ قرون، ويعدّون أطباق عشاء خاصة، ويشترون الحلويات لإحياء عادة «الدراز» في مختلف مناطق البلاد، علماً أنّه في عام 2016، تحول الاحتفال برأس السنة الأمازيغية إلى يوم وطني في الجزائر. وتقول نانا زبيدة (الجدة زبيدة) إنّه «يوم للأماني والامتنان بوفرة الأمطار والثلوج وافتتاح الرّزق بعام أمازيغي جديد»، لافتة إلى أنّ العائلات الجزائرية تحتفل بقدوم عام جديد ويتضرعون لله بعام وفير وخيّر وسكينة وطمأنينة وتفاؤل بتساقط الثلوج والأمطار.

وفي منطقة جبال الأوراس شرقي الجزائر، وغيرها من المناطق، تطلق احتفالات ونشاطات «الناير»، أي اليوم الثاني عشر من الشهر الجاري من كلّ عام، أو ما يسمى باللغة الأمازيغية « ثابورث أسقاس» أو باب السنة أي بدايتها لدى الأمازيغ. ويُنظر للعام الأمازيغي الجديد بأنه بداية الخير. ففي كلّ عام، تحيي العائلات هذا اليوم بطقوس احتفالية لها مكانة خاصة لدى الأسر الجزائرية، بالإضافة إلى أبعاد ودلالات تتضمن رموزاً تتعلق بالأرض والزراعة والمحصول الزراعي من خلفية ارتباط الانسان في منطقة شمال أفريقيا بالأرض وخدمتها وحمايتها بشتى الوسائل. وتبدأ السنة الأمازيغية بطقوس خاصة تشترك فيها العائلات الجزائرية تمثل بداية جميلة أو بداية للخير من باب التفاؤل تسمى «ثابورث أسقاس» أي « باب السنة». ويطهى الكسكسي المكون من القمح، ويعد سيّد الأطباق التراثية الاحتفالية في هذا اليوم، بالإضافة إلى طهي البقوليات الجافة. وتستمر هذه الطقوس لمدة ثلاثة أيام بدءاً من ليلة الحادي عشر من يناير حتى الرابع عشر منه. وتقول نعيمة حمّي المتحدرة من منطقة عين آزال بولاية سطيف شرقي الجزائر لـ «العربي الجديد» إنّه يطلق على الاحتفالات «يوم الحشيش ويوم العيش ويوم الريش». ولهذه التسميات معنى في الواقع، إذ تطهو النساء أطباقاً مكونة من الخضار بلون الحشيش (العشب) كدلالة على الخضرة وانفتاح النفس على الحياة والعلاقة بالأرض. تضيف أنّه يطلق على اليوم الثاني اسم «العيش»، إذ تعد أطباقاً تتشكل من مختلف أنواع الحبوب والعجين من القمح والفول والحمص والدقيق في وجبة حساء ساخنة تقدم لأفراد الأسرة في ليلة ناير الباردة كرمز للتكاتف والتضامن والرزق. واليوم الثالث هو «يوم الريش» وهو اليوم الأخير من الاحتفالية، فيتميز بذبح الديك الرومي وهو طقس من طقوس الاحتفالات يطلق عليه «أسفال» أي عشاء أساسه الكسكسي بلحم الديك الرومي، ويوزع على الجيران والفقراء، وهذه عادة متجذرة في هذا اليوم بين أفراد الحي السكني الواحد، كتعبير عن اللحمة والرحمة بين مختلف فئات المجتمع.

وخلال الاحتفاء بالسنة الأمازيغية، تشتري العائلات الجزائرية ما يعرف محلياً بـ «الدراز» وهو خليط من اللوز والجوز والحلوى والتمر والكاكاو وغيرها، وتتمسك بعض العائلات بعادة جلب كمية من الحلويات التي تم شراؤها، ووضع أصغر أفراد العائلة داخل إناء ليتم إفراغها عليه. وما يسقط داخل الإناء يصبح خاصاً به، بينما يتم توزيع الكمية التي سقطت خارج الإناء على باقي أفراد الأسرة. ويلاحظ خلال هذه الفترة انتعاش لافت في تجارة المكسرات والحلويات وغيرها، وتتنافس المحال التجارية في عرضها على الباعة. ويعد يناير شهر الأمطار والخيرات، ويتفاءل الجزائريون بفترة «السنة الفلاحية» والحلّة البيضاء مع بدء تساقط الثلوج، فتنظم الاحتفالات في انتظار تحقيق الأمنيات. وتختلف الاحتفالات ببداية السّنة الأمازيغية من منطقة إلى أخرى، من خلال عادات تراثية انتقلت عبر الأجيال وتهدف للحفاظ على الروابط الاجتماعية بين العائلات لما يحمله من تآزر وامتنان والعمل على ترسيخ مختلف عادات التضامن بين الشعب الجزائري.

وتقول الباحثة في التراث الأمازيغي في جامعة الجزائر زهيدة معرافي، لـ «العربي الجديد» إنّ الاحتفالات الشعبية تحمل في الغالب أبعاداً رمزية لما يسمى عشاء الناير، إذ تُجهز أطباق متنوعة. ففي منطقة بني سنوس بولاية تلمسان في أقصى الغرب الجزائري على سبيل المثال، يجتمع الرجال في الصباح للقيام برحلة صيد للأرانب والحجل التي تطهى في اليوم التالي. لكنّ هذه العادات تغيرت مع الاكتفاء بذبح خروف أو عنزة أو شراء الدجاج. كما تعكف النساء على تحضير الخبز في البيوت، وإعداد الحلوى المصنوعة من التين الجافّ والرمان والبرتقال والجوز.

والتفسير الشائع لبداية العام الأمازيغي أنّه بداية للتاريخ أو الروزنامة الفلاحية. ويقول الباحث عبد الله زروقي، من جامعة «قسنطينة» شرقي الجزائر، إنّ يناير شهر بدء مرحلة السنة الزراعية بوفرة الأمطار وسقي الأراضي. ومن الأمور التي تتفق عليها غالبية الأسر الجزائرية، تزامناً مع احتفالات «الناير»، أنّ العام الجديد هو عام الخير ووفرة المحاصيل الزراعية. ويؤكد في حديثه لـ «العربي الجديد» أنّ بعض الدراسات التاريخية تشير إلى ارتباط رأس السنة الأمازيغية ببدء التقويم الأمازيغي الذي يعود بحسب المؤرخين إلى اليوم الذي هزم فيه الملك الأمازيغي شيشنيق الأول، الفرعون المصري رمسيس الثالث، وذلك عام 950 قبل الميلاد، بعد معركة طويلة يعتقد أنّها دارت في مدينة تلمسان الجزائرية واستطاع شيشنيق بعد انتصاره تأسيس نظام ملكي ليحكم من ليبيا حتى مصر.

وأقرّ رسمياً لأول مرة الاحتفال بالعام الأمازيغي في الجزائر بعد تعديل الدستور عام 2016، وأصبح عيداً وطنياً يتم الاحتفال به في المدارس والمؤسسات الرسمية منذ يناير 2017، بعدما أقرت السلطات الاعتراف باللغة الأمازيغية كلغة وطنية ورسمية في الدستور. وترعى السلطات الاحتفال الوطنية بعيد السنة الأمازيغية، وتنظم هذا العام في أقصى الجنوب وتحديداً في عاصمة الصحراء والطوارق، أي مدينة تمنراست. وينظم الاحتفال تحت شعار «ثوماس توقاس» هو باللهجة الطارقية الأمازيغية، ويعني «تلاقي كلّ الجزائريين» بحضور مجموعة من الفنانين والأدباء والشعراء القادمين من ربوع الوطن لإحياء فعاليات ثقافية في احتفالات «الناير»، تحت إشراف المحافظة السامية للأمازيغية. وتقام برامج ثقافية ومعارض خاصة بالتراث المادي وغير المادي فضلاً عن الصناعات والمنتجات التقليدية ومعارض للكتب والوسائط السمعية البصرية. كما تتميز هذه الاحتفالات، بتوزيع جوائز الطبعة الثانية لجائزة رئيس الجمهورية للأدب والثقافة الأمازيغية.

باختصار

تبدأ السنة الأمازيغية بطقوس خاصة تشترك فيها العائلات الجزائرية تمثل بداية جميلة أو بداية للخير من باب التفاؤل تسمى «ثابورث أسقاس» أي «باب السنة».

■■■

يطهى الكسكسي المكون من القمح، ويعد سيّد الأطباق التراثية الاحتفالية في هذا اليوم

■■■

أصبحت بداية العام الأمازيغي في الجزائر، عيداً وطنياً يحتفل به في المدارس والمؤسسات الرسمية منذ يناير 2017

وأخيراً

جريمة قتل «أم ضحكة جنان»

سما حسن

قبل سنواتٍ كثيرة، سرت شائعة في الحي عن سيدة شابة وجميلة، أنها على علاقة برجل آخر غير زوجها. لم يصدّق الزوج هذه الإشاعة عن أم أطفاله، ولكنّ المحيطين به وبها صدّقوا، وهم إخوته وزوجاتهم، دافعهم إلى ذلك الغيرة من جمال السيدة وأناقتها، وقدرتها على المحافظة على هندامها وقوامها، مع أنها أنجبت عدة أطفال تباعا لكي تجاري في تلك العائلة عادة التباري والتباهي بإنجاب أكبر عدد من الأولاد. وقد صدّق الجميع تلك الإشاعة التي أطلقها رجل كان يلاحق المرأة الشابة الجميلة المتأنقة اللافتة للأنظار، في سيرها في الحي وفي أي مجلس تقع فيه بين نسوة غيورات. وكان مبرّر كل امرأة جدّت واجتهدت لنشر تلك الإشاعة وتكبيرها وتصعيدها أن تلك المرأة «مموضة»، أي أنها تجاري الموضة في لباسها وزينتها، فهي لم تتحوّل إلى زوجة مطحونة تفوح منها رائحة البصل والثوم، وتتبقع ثيابها بلعاب الرضّع، ولا تتشقق يداها من غسل الأواني الملطخة بالسناج. وهكذا رحل الزوج وزوجته من الحي، وتحوّلت أسرته الصغيرة إلى أسرة منبوذة. والجريمة التي لاحقت تلك السيدة أنها كانت «مموضة» مثل الجريمة التي انتحرت بسببها فتاة صغيرة في عمر الزهور اسمها بسنت، أن لقبها «أم ضحكة جنان».

تعرفون جيدا الفتية الفاشلين الذين ألقت بهم معدلاتهم المتدنية، وليس أخلاقهم وتوجّههم نحو المدارس الدينية التي تقبل المعدلات المتدنية للطلبة، بدءاً من المرحلة الثانوية. ولدى هؤلاء خبرات متداولة ومتبادلة في عالم الإنترنت، ومن الطبيعي أن يصبّوها في اتجاه الشر. والشر هنا اصطياد الفتيات الصغيرات، الجميلات خصوصا، وقد حاول اثنان منهما إلقاء حبالهما نحو فتاة جميلة اسمها بسنت خالد، وتلقب في قريتها الصغيرة بلقب «أم ضحكة جنان»، ولكنها تمنّعت، وأمام تمنّعها ثارت ثورة المراهقة واصطناع الرجولة، فقرّر الفتيان الانتقام منها من خلال برامج الفبركة والتزوير في الشبكة العنكبوتية. وليس من الصعب أن يجيد التعامل معها أي فتى مراهق لا يحب الدراسة، ولا يجد جدوى من إهدار عمره بين الكتب، فيما العالم يفتح أبوابه أمامه، وتلك الأبواب، على الرغم من زيفها ووهمها، تزيد من غروره ورغبته في الانتقام، فكيف لفتاةٍ، مثل بسنت، أن ترفض مواعدته، وتُسقط هيبته أمام باقي الشلة من الفتية الذين بالكاد نبتت لِحاهم وشواربهم مثل جيوش نملٍ صغيرة لا تكاد تراها أعين السيارة.

مشكلة الفتاة التي قرّرت إنهاء حياتها أنها لم تخبر والديها بأمر الفتيَين منذ البداية، وانتظرت حتى فبركا صوراً ومقاطع فيديو لها من خلال صورها الشخصية التي تنشرها عبر حساباتها على مواقع التواصل الاجتماعي، وهذه مشكلةٌ تقع فيها معظم الفتيات اللواتي يعتقدن أن صورة لإحداهن مع زميلاتٍ أو عائلة أو صورة بزي مستور سوف تكون حاميةً وواقيةً لها من الابتزاز، وتغفل عن وجود برامج خاصة للتزوير والفبركة يحتاج من يتعامل معها لصورة لملامح الوجه فقط، ثم يفضح الضحية أمام الجميع، والجميع هنا عائلتها التي نظرت إليها نظرات الشك والريبة، والمدرسة والجيران والأقارب الذين يعتبرون هم قتلة الطالبة «أم ضحكة جنان بسنت خالد» الحقيقيين قبل أيام في قرية كفر يعقوب التابعة لمركز كفر الزيات بمحافظة الغربية في مصر.

مشكلة الفتاة أيضا أنها جميلة، وضحكتها ساحرة «ضحكة جنان». والحقيقة الموجعة أن الجميلات سيئات الحظ في الزواج والحب، ولكن الحقيقة الأكثر وجعا أنهن يتعرّضن للتنمر والشائعات والتوقعات في الوقوع في الرذيلة أكثر من الفتيات الدميمات أو متوسطات الجمال، فلن يُقدم فتية مثل هذين الغرّين على إضاعة وقتهما لتركيب صورة وجه دميم على قوام رشيق مثلا. ولذلك الفتاة الجميلة مثار للشبهات وضحية حتى من أقرب الناس إليها.

> الجميلات سيئات الحظ في الزواج والحب، ولكن الحقيقة الأكثر وجعاً أنهن يتعرّضن للتنمّر والشائعات

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,20**, Austria **€ 2,20**, Belgium **€ 2,20**, France **€ 2,20**, Germany **€ 2,30**, Holland **€ 2,30**, Italy **€ 2,10**, Spain **€ 2,20**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 5,00**, USA **$ 2,00**